الاضطهادات اللاسامية القيصرية في القرن التاسع عشر ومطلع القرن الحالي) . ولا يجب ان ننسى ان الصهيونية ولدت في اوروبا وبين الاشكنازيم الذين ما زالوا اليوم يقودونها ويترأسون وليدتها اسرائيل . بينما لم يتأثر السفاراديم — واغلبهم من يهود الدول العربية — بهذه الايديولوجية الا مؤخرا وخاصة بعد ١٩٤٨ . هذه الاعتبارات المتشابكة قد تفسر الاختلاف الجزئي في ردود الفعل بين الطائفتين . فاذا اجملنا نستطيع ان نقول ان الاشكنازيم اكثر التزاما بالصهيونية وفي نفس الوقت اقل التصاقا بالدين والتقاليد من السفاراديم ، وهؤلاء بدورهم اكثف في تعاطفهم مع اسرائيل ، وحين التزامهم مفرطين (فهم يشكلون اغلبية عناصر المنظمات الصهيونية الصدامية كالبيتار القريبة من حزب حيروت الفاشي) . وقد يفسر الواقع الطبقي نوعا ما هذا الاختلاف اذ ان الاشكنازيم أقرب في مجموعهم من الطبقات العليا (اصحاب عمل ومهن حرة ، كوادر عليا الخ) من السفاراديم (حرفيون وتجار الخ ...) . وللتسهيل نستطيع ان نقول ان الفرنسيين اليهود اقسام اربعة : الاول — وهو في حدود ٣٠ بالمئة — مندمج اندماجا كليا في المجتمع الفرنسي ولا يعتبر الصهيونية قضيته . الثاني — ويشكل ٢٥ بالمئة تقريبا — على علاقة عارضة وغير وثيقة بالصهيونية ويكاد لا يتعدى حدود العطف البعيد . والثالث — ويشكل ٣٠ بالمئة تقريبا — على علاقة اكثر وثقا ولكنها دون الالتزام . فهو يضم المتخوفين من تجدد اللاسامية في اوروبا والذين يعتبرون اسرائيل ملجأ محتملا وعلى هذا الاساس فهم يتبرعون بين حين وآخر ويشاركون في بعض النشاط . والقسم الرابع والاخير — حوالي ١٥ بالمئة — يضم الملتزمين بالحركات الصهيونية التزاما كليا — سواء بانتمائهم او بمشاركتهم في النشاط بشكل مستمر او باستعدادهم للهجرة . هذا الوضع قد يفاجيء الذين يعتقدون ان الصهيونية نجحت في تجنيد ٩٩ بالمئة من يهود العالم في خدمتها . ولكنه لا يفاجيء من يسمع بين حين وآخر ان وزيرا او جنرالا اسرائيليا اتى الى فرنسا او بريطانيا او الولايات المتحدة لاقناع اليهود بالاستمرار في التبرع (وليس فقط وقت الازمات) ولمحاولة الحد من الاندماج في المجتمعات التي يعيشون فيها (الاندماج الذي اعتبره بن غوريون في زيارة له الى باريس اكبر خطر يهدد اليهودية اليوم !!) . لا يفاجيء من يرى كل يوم في الصحف والمجلات الصهيونية المحلية التذمر من تطور الشباب اليهودي (الذي لم يعش فترات الارهاب اللاسامي والنازي) نحو مواقف لا صهيونية واحيانا معادية للصهيونية (هناك المئات بل الالاف من هؤلاء في المنظمات اليسارية التي تتخذ في غالبيتها مواقف مؤيدة للثورة الفلسطينية ولقضايا التحرر العربي) . لا يفاجيء من يشاهد اساليب الارهاب التي يتبعها احيانا الصهاينة ضد اليهود المعادين للصهيونية (حدث مرارا في فرنسا وغيرها من دول اوروبا ان هوجم احد هؤلاء وكيل ضربا وتشويها كما حصل مع ايلي لوبل ، او قامت الصحف الصهيونية بحملات شرسة ضدهم متهمة اياهم بالجنون والمادية وانفصام الشخصية والعمالة للعرب الى ما هنالك من التهم وحدث ذلك مثلا مع المستشرق مكسيم رودنسون ، او حتى هوجمت حوانيت التجار الذين رفضوا التبرع لاسرائيل كما حدث منذ بضعة اشهر في احدى الاحياء اليهودية في باريس) .

في حربنا ضد الصهيونية واسرائيل ، علينا أن نحدد ونحلل بوضوح كافة المعطيات. المشكلة اليهودية ، شئنا أم أبينا ، أصبحت جزءا من المشكلة الفلسطينية . أي ان المجموعات اليهودية في العالم ، وهي ميدان العمل التجنيدي الصهيوني ، هي طرف في القضية . الصهيونية تريد يهود العالم على ارض فلسطين او على الاقل تمويل المهاجرين منهم ودولتهم . ونحن اذا ، اعداء الصهيونية ، نهدف الى وقف الهجرة اليهودية وتدفق الاموال على اسرائيل . فلا بد من الاتجاه الى الطوائف اليهودية ، لا بد من اظهار حقيقة الثورة الفلسطينية وأهدافها لها ، لا بد من تشجيع بقائها في دول تواجدها (التي هي أوطانها الحقيقية) بالتنديد باللاسامية والتفرقة التي تدفعها الى الهجرة .

لقد قامت الثورة الفلسطينية بخطوة كبيرة في هذا المجال بطرحها شعار فلسطين الديموقراطية ، وادانتها للعنصرية ومطالبتها الدول العربية اعطاء العرب اليهود كافة حقوقهم وتسهيل اندماج من يرغب منهم في العودة الى بلد نشأته . ولا شك ان خطوات اخرى تسمع هذا الصوت الثوري اكثر في الاوساط اليهودية الغربية (وخاصة في الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا) ستكون لها وزنها في المعركة. والصورة التي أعطاها الكتاب عن مواقف الفرنسيين اليهود تؤكد على ان المجال في هذا الصدد مفتوح .

داود تلحمي